تربية

دنيز مشنتف
denise.mechantaf@gmail.com

ميشال سبع: العائدون إلى مدارسهم لن يقبلوا بشرطي آخر في الصف

نتجه بحذر وقلق نحو عام دراسي جديد في الخريف المقبل الذي قد يشهد انتشارا قويا لوباء كورونا. مهما كان الوضع، الاولاد سيعودون الى مدارسهم بعد تجارب قاسية عاشوها في الحجر المنزلي اكسبتهم الثقة بانفسهم. مع هذه العودة كيف سيواجهون المجتمع من جديد، وكيف سيتعاملون مع اساتذتهم والى اي تربية مدرسية واجتماعية يحتاجون؟

الاختصاصي في علم الاجتماع السياسي البروفسور ميشال سبع.

بقاء الاولاد في الحجر المنزلي منذ مطلع العام الجاري، قدم لهم مدماكا كبيرا لتحقيق ذواتهم الى حد اعتبارها مرجعيتهم الوحيدة. وباء كورونا لم يصب الافراد فقط، بل اصاب الاسرة كلها بخلل في الصميم.

باكتشافهم الواقع السيء اختار الاولاد العزلة عنه باللجوء الى العالم الافتراضي، وسيكتشفون بعد عودتهم الى مدارسهم انه كان وهما مع محاولة عيشه حسيا وواقعيا.

وضع تربوي صعب ستواجهه المدارس مع خروج الاولاد من حجر منزلي مع حال مأسوية وسلوكيات غيرت طبيعة حياتهم ونظرتهم الى اساتذتهم، وبالتالي لن يقبلوا بوجود شرطي آخر في الصف.

اي واقع ينتظر المدارس والتلامذة هذه السنة، وبأي مشكلات سيصطدمون بعد خروجهم من الحجر المنزلي؟ وفي حال فرضت عليهم العزلة الاجتماعية مجددا كيف سيتعاملون معها هذا المرة؟

تفاصيل هذا الواقع يكشفها رئيس مدرسة سابق والمشرف في المعهد العالي للدكتوراه والاختصاصي في علم الاجتماع السياسي البروفسور ميشال سبع في حديث الى "الامن العام".

■ اي نوع من المشكلات سيصطدم به الاولاد بعد خروجهم من الحجر المنزلي وعودتهم الى مدارسهم؟

□ لنتوقف بداية عند نوعية الحياة التي عاشها الاولاد والمراهقون والتلامذة في فترة الحجر المنزلي الذي فرضه عليهم انتشار وباء كورونا. ما الذي اكتسبوه من هذه المرحلة وبأي اهتمامات انشغلوا لكي نحدد ما ينتظرهم بعد عودتهم الى مدارسهم. عاش الاولاد للمرة الاولى في حياتهم التعلم من بعد. لكن لم تأخذ هذه المسألة جزءا كبيرا من وقتهم. صحيح انها تجربة جديدة، لكنها لم تكن عالمهم الجديد الذي تكون من خلال التواصل مع رفاقهم عبر الانترنت، اي العيش في العالم الافتراضي الذي من خلاله مارسوا اخلاقيات بعيدة من الاخلاقيات الاجتماعية السائدة، احيانا الى حد الوقاحة. علما ان بعض الاهل تغاضى عن امور كثيرة حدثت مع بناتهم او ابنائهم ما دامت تحدث معهم افتراضيا وليس حسيا او واقعيا. المهم فيها انها لم تسبب لهم اذية جسدية. لدى عودة الاولاد او المراهقين الى مدارسهم، سيكتشفون الواقع على حقيقته من ناحية ان ما عاشوه افتراضيا كان وهما وسيحاولون عيشه حسيا وواقعيا. هذا يعني ان المدارس ستواجه مشكلات اخلاقية جديدة يجب تداركها وسيصعب عليها ذلك لأن لا احد يستطيع منع

> **وباء كورونا لم يصب الافراد فحسب بل كل افراد الاسرة**

مسار المياه وتدفقها. المشكلة الثانية التي سيصطدم بها الولد او المراهق بعد عودته الى المدرسة تتمحور حول علاقته باساتذته الذين سيعودون الى مواقعهم بعد الحجر المنزلي مهترئين داخليا، لان البعض منهم لم ينل مستحقاته المالية في فترة الغياب عن المدرسة منذ بداية العام الجاري وانعكاس ذلك على معيشتهم وحياتهم الخاصة، وبالتالي على نفسياتهم. لذلك، نتوقع ان تكون العلاقة بين التلميذ واساتذته متوترة بعد توصل الولد الى تكوين عالمه الخاص من خلال العالم الافتراضي الذي اكسبه الثقة بنفسه. وبالتالي، سيتذمر من زجر الاستاذ وملاحظات المعلمة له في حال شاغب في الصف مع رفاقه.

■ ما هو سبب هذا الرفض؟

□ السبب يعود الى ما عاشه الولد في فترة الحجر المنزلي الذي فرض على افراد العائلة كلها مما اضطر الاب الى ترك عمله وملازمة بيته طوال هذه الفترة. الامر الذي لم يعتد عليه الولد، ليتحول اهتمامه الشخصي الى مراقبة اولاده ومساءلتهم، ماذا يفعلون ومع من يتحدثون. هذه الرقابة المتشددة حولت الاب الى شرطي مزعج في نظر ابنائه، الامر الذي خلق عدائية بينه وبين اولاده. وعند عودة الصغار او المراهقين الى مدارسهم لن يقبلوا بوجود شرطي آخر لهم في الصف.

■ احتكاك الاولاد بعالم اهلهم في فترة الحجر المنزلي ماذا كشف لهم من حقائق؟

□ كشف لهم عورات كانت محجوبة عنهم من قبل. مع تفاقم المشكلات الزوجية في فترة الحجر المنزلي، كان الاولاد طرفا في العراك العائلي الذي شملهم احيانا. ادى هذا التوتر البيتي في حالات كثيرة الى انفصال الزوجة عن زوجها بعد سنوات من الزواج والعودة الى بيت اهلها. وباء كورونا لم يصب ◄

المقال

ملعب لصنع الذات

بمعاينة الواقع التربوي في السنوات الاخيرة، تبين لنا وبوضوح حرص مدارس عدة في لبنان على رعاية الاولاد نفسيا من خلال التنبه الى اي مؤشرات تدل على وجود مشكلات في حياتهم تعوّق نجاحهم المدرسي. هذه المهمة يتولاها اختصاصيون في علم النفس بات وجودهم، في السنوات الاخيرة، ضرورة لاعداد كادر تربوي مسؤول تتوزع مهماته بين جميع الاطراف كي تكتمل المهمة التربوية الصعبة بكل حذافيرها.

التربية الحديثة هي علم واختصاص، فيها الكثير من الرغبة في ان يلعب الشخص هذا الدور في المجتمع. علما ان المسؤولية هذه تلقى على عاتق الجانبين، المدرسة والعائلة، بشكل متكامل في ما بينهما وبتنسيق دائم مع بعضهما البعض، بعد مراقبة تطور الولد او تقاعسه عن التقدم الشخصي والمدرسي.

المجتمع الاول الذي ينتمي اليه الولد هو مدرسته، التي من على مقاعدها يؤسس لعلاقاته الاجتماعية الاولى في حياته من خلال الاحتكاك اليومي برفاقه، يكتشفهم ويكتشف ذاته، بماذا يمتاز عنهم ومن هو المفضل لديه من بين كل الرفاق. انها الفرصة الاولى لاختيار نوعية الاصدقاء التي يرتاح اليها الولد. فرصة تقدمها المدرسة لاكتشاف التلميذ نوعية الناس التي سيطمئن اليها مستقبلا.

عادة لا يكتشف الاهل مواهب اولادهم الا في حالات نادرة، وفي حال اكتشفوها سيلجأون الى المسؤولين في المدرسة لتنميتها من خلال اعطائهم دروسا في الرسم او الموسيقى او الرقص. هذا العالم لا يدخله الاولاد الا من خلال المرجعية التربوية القادرة على تأمينه لهم. حتى الاهل سيعودون اليها باعتبارها ملجأهم الوحيد لدى شعورهم بالعجز عن تحمل اعباء هذه المسؤولية، وذلك من باب عدم معرفة كيفية التصرف في الامور المعقدة، خصوصا المفاجئة بالنسبة اليهم.

الملعب المتاح امام الولد لصنع ذاته هو مدرسته، فيها يتعرف للمرة الاولى الى المكتبة والى كتابه الاول في الحياة، حدث يصنع في هذا المكان لا في مكان آخر. فالتشجيع على القراءة والمطالعة وممارسة الفنون بكل اشكالها، مهمات تتولاها المدرسة لا الاهل، بدقة وبملاحقة الوضع لمراقبة النتائج لمعرفة بأي جديد سيخرج التلميذ من هذه التجربة.

كلنا نعود بالذاكرة الى الحفلات المدرسية، خصوصا حفل نهاية العام الدراسي الذي من خلال اقامته يحرص المسؤولون في المدرسة على دفع التلميذ الى الامام، باعتلاء المسرح لتقديم فن معين تميز به. خطوة في مضمونها غير المباشر هي فرصة قدمتها المدرسة للولد من اجل تقديم ذاته لاثباتها امام الجميع، الاهل والرفاق معا، وليقول لهم: هذا انا. فالدفع الى الامام هو لتعزيز الثقة بالنفس، وهو من مسؤولية الاهل والمشرفين التربويين على تفاصيل حياة الاولاد، خصوصا من امتازوا بمواهب فنية. فالمسرح المدرسي، مثلا، كان مدماكا اساسيا في حياة رواد المسرح في لبنان، فمن ذاك المكان بدأوا مسيرتهم الفنية. ولدى عودتهم الى تاريخهم، يتوقفون بشغف عند محطة مسرح المدرسة التي منها بدأ حلمهم ولولاه لما اصبحوا روادا في هذا المجال.

التربية المدرسية منقذة للاولاد من الجهل الذي يحوط بهم في مجتمعهم العاجز عن حمايتهم من مشكلاته العديدة وارتداداتها على ذواتهم وكيانهم الشخصي، وبالتالي على نظرتهم الى الحياة ومكانة الاخر فيها.

دنيز مشنتف
denise.mechantaf@gmail.com

◄ الافراد فقط، بل البنية الاجتماعية ايضا، الاسرة تحديدا، بحيث اصابها بخلل في الصميم.

■ عند عودتهم الى مدارسهم هل سيشعر الاولاد بعدم الاطمئنان الى الاخر بعد اختبائهم في بيوتهم خوفا من وباء مجهول المصدر؟

□ سيعيش الاولاد بعد العودة الى المدرسة والاحتكاك الاجتماعي بحالة حذر من كل الناس ولن يثقوا باحد. فالمدرسة في ازمة كورونا لم تحضنهم وتركتهم مع اهلهم لتحمل مسؤوليتهم. لكن مشاجرات الاب مع الام في فترة الحجر المنزلي زعزعت علاقتهم بالعائلة التي كان من المفترض ان يشعر الولد بانه في مكان يحميه. في نظرهم الاطباء ايضا اصيبوا بوباء كورونا، بمعنى انه لا وجود لجهة يطمئنون اليها. الولد بعد ازمة كورونا لن يثق الا بنفسه وسيعتبر ذاته هي المرجعية التي سيعود اليها.

■ ثمة بيئات غير حاضنة للاولاد يعانون فيها من الاهمال العاطفي او التعنيف مثلا، الا تشكل المدرسة كمرجعية تربوية مسؤولة تعويضا عن خسارات نفسية تكبدها الاولاد في عزلتهم الاجتماعية الاخيرة؟

□ لا احد يستطيع التعويض عن شيء خسره الانسان، حتى هو نفسه لا يستطيع التعويض عن ذلك وسيفتش عن شيء آخر في الحياة. المدرسة لا تحضن الولد كولد بل تحضنه كزبون. فهو الواجهة للزبائن الاصليين، اي الاهل، الذين يختصرون بوجودهم الكتلة النقدية التي تحتاج اليها المدرسة كي تقوم بعملها الذي لا اراه طوباويا ولا مثاليا، بل هو فعل تجاري صرف يتخذ اطار المؤسسة التجارية التي انشئت من اجل تعليم الاولاد للحصول

المدارس ستواجه مشكلات اخلاقية جديدة يصعب عليها تداركها

من المفترض ان تكون التربية عائلية لا مدرسية

ستشهد المدارس صدامات في صفوفها بين الاساتذة وتلامذتهم.

على شهادات في مقابل دفع اقساط سنوية. علما ان مقياس نجاح المدرسة هو في عدد التلامذة الناجحين في الشهادات الرسمية. من موقعي السابق كرئيس مدرسة لمدة 22 عاما، لم اسمع يوما من اهالي احد التلامذة توصية بالتركيز على تنمية شخصية ولدهم، بل كل الحرص كان من قبل جميع الاهالي على نجاح ابنهم او ابنتهم بشكل يمكنهم من نيل الشهادة الرسمية التي تؤهلهم للحصول على وظيفة. لذا اقول، المدرسة ليست حاضنة للطفل في حد ذاته، بل هي حاضنة للاهل الذين اودعوا اولادهم فيها من اجل الاستثمار في مشروع مستقبلهم اعتقادا منهم ان الاولاد سيهتمون بهم بعد تقدمهم في العمر، وهذا غير صحيح كما اثبت الواقع. الشعور بالانتماء هو ما يمتن شخصية الولد. اولاد اليوم لا ينتمون الى اهلهم ولا الى مدرستهم، بل الى ذواتهم.

■ لكن ثمة مسؤولية تربوية تتحملها المدرسة باعتبارها المرجعية في الازمات التي يعيشها التلامذة، ما الذي تقترحه لانقاذ الاولاد من انعكاسات ما عاشوه في الحجر المنزلي؟

□ على المسؤولين في المدارس العمل على نشاطات لاصفية وتشجيع التلامذة على تشكيل مجموعات يساند افرادها بعضهم بعضا، ومن المهم اقامة ندوات لهم حول مفهوم العالم الافتراضي والعالم الواقعي كي لا يقعوا في المطبات. وكما ارى، سيتجه الجيل الجديد نحو تأسيس جمعيات او تشكيل تجمعات على شكل نواد تؤمن لهم فرص التلاقي برفاقهم خارج اطار البيت. من الممكن، في حال وجدت مرجعية قادرة على حضنهم، ان يحقق اولاد اليوم اشياء جميلة، لكن لا وجود لهذه المرجعية حاليا. من الضروري توضيح مسألة مهمة في نظري ضمن هذا المجال، تترافق مع تحديد دور المدرسة في عبارة التربية والتعليم. لكن في مدارسنا لا وجود للتربية بل التعليم فقط، فهذا

ما تقوم به. من المفترض ان تكون التربية عائلية لا مدرسية، لكن الاب والام غير مهيئين لتربية اولادهم، كما يجب ان تكون هذه التربية بتطلعات جديدة وافاق اوسع من الافاق الذي تربى عليه الاهل. مشكلة الاهل هي في حرصهم على تربية اولادهم كما تربوا على يد ابائهم. في الواقع، الولد يربي نفسه بنفسه، من خلال الفشل، الصدمات، ارتكاب الاخطاء، ومعرفة ما هو الصواب.

■ البيئة الاجتماعية التي ينتمي اليها الولد او المراهق، بيئة الاصدقاء، الا تساهم في تنمية شخصيته التي نعتبرها جزءا من تربيته لنفسه؟

□ لا تنطبق على مجتمعنا صفات المجتمع بالمعنى العالمي. السبب يعود الى نوعية تكوينه المؤلفة من ثلاثة انتماءات متصارعة مع بعضها البعض: الانتماء الوطني وهو الاضعف، الانتماء العائلي القوي، اما الانتماء الطائفي فهو الاقوى. هذه الانتماءات المتصارعة في وجه بعضها البعض لا تساعد الانسان ولا تسمح له بأن يكون وحدة متكاملة في ذاته. عليه في النهاية ان يختار ويقرر وجهة انتمائه ما بين العائلة او الطائفة او الوطن. لهذا السبب نجد الحماسة عند بعض الشباب للانضواء في المؤسسة العسكرية او في احد الاجهزة الامنية.

■ يتوقع البعض اعادة انتشار وباء كورونا بقوة في الخريف المقبل تزامنا مع بداية العام الدراسي، هل ستمتنع المدارس عن فتح ابوابها مجددا بسبب ذلك، وكيف سينعكس هذا الوضع على الاولاد؟

□ شخصيا، ارى عودة الاولاد الى مدارسهم التي اتخذت قرار مزاولة عملها بسبب الحاجة المالية الملحة لدى طاقمها وليس لحاجة تعلمية. مع هذه العودة ستشهد المدارس وضعا تربويا صعبا جدا من ناحية العلاقة بين الاساتذة وتلامذتهم. وكما اتوقع، سيكون هناك صدامات في الصفوف بسبب عدم قدرة الاولاد على الانضباط والامتثال لتعليمات المعلمين والمعلمات. مرد ذلك، عودتهم الى المدرسة في حال مأسوية بعد عيشهم في حجر منزلي وغيابهم مدة عام دراسي باكمله تقريبا، الامر الذي سيخلق وضعا جديدا في الصفوف، كالانفرادات الجانبية بين التلامذة مما قد يتسبب باصابة الاولاد بوباء كورونا في حال عاد وانتشر بقوة مع اعادة فتح المدارس. اذا تكرر هذا الوضع سيفرض الحجر المنزلي مجددا على الاولاد، لكن هذه المرة لن تكون كالمرحلة السابقة التي تمكن فيها الاهل من ضبط اولادهم. الحجر المنزلي في المرة الاولى قدم للاولاد مدماكا كبيرا لتحقيق ذواتهم. لذا، لن يتمكن الاهل من السيطرة عليهم في حال عودة حجر منزلي آخر وسيختارون الشارع على البقاء في البيت.

الولد يربي نفسه بالفشل والصدمات وارتكاب الاخطاء ومعرفة الصواب

اذا تكرر الحجر المنزلي سيختار الاولاد الشارع لا البيت

المدارس ستفتح ابوابها لحاجة مالية لا تعليمية.

■ هل من وجود لتربية مثالية وكيف تكون؟

□ قال سقراط عندما اتأمل طفلا صغيرا اقول في نفسي اعطي نصف عمري كي اعرف بماذا يفكر هذا الطفل. بصراحة، لا وجود لمفهوم تربوي مثالي اذا حاولنا المقارنة مع ما يطبق في علم الفيزياء. بمعنى انه كي نقوم بتجربة مثالية في هذا العلم ثمة شروط معينة يجب ان تؤمّن، كمعدل معين للحرارة والضغط والضوء. في علم الفيزياء الاسباب نفسها تؤدي الى النتائج نفسها، الامر الذي لا ينطبق في التربية. كل طفل في العائلة هو مختلف عن غيره حتى لو كان يحمل الجينات نفسها من الام او الاب ولو بنسب متفاوتة، وبالتالي سيكون مختلفا عن اخوته بطباعه وتفكيره. لا وجود لتربية مثالية تطبق على كل الاولاد حتى على ابناء العائلة الواحدة.

د. م